استدعاء أساطير الخصب والنماء في الشعر الجزائري المعاصر.

Invoking the myths of fertility and growth in contemporary Algerian poetry

د.أمال ماي

أستاذ محاضر –أ-/ النقد الأدبي.

جامعة الدكتور مولاي الطاهر-سعيدة-

amelmay19@yahoo.com

الملخص:

يعتبر الشعر الجزائري وثيقة تاريخية لمختلف اللّحظات التي يعيشها الوطن، وهو مكاشفة لمختلف الأوضاع والأزمات التي هزت عرشه، وخلخلت كيانه ووجوده؛ لأنه طاقة إيحائية معبرة لما كان ويكون وما سيكون،حيث اشتغل كثير من الشعراء الجزائريين بتوظيف الأسطورة في نصوصهم الشعرية لإيمانهم بمدى خصوبتها وقدرتها على تطعيم التجربة الشعرية، وثانيهما إشباع رغباتهم. واستدعاء الشاعر الجزائري أسطورة الخصب و النماء ليعبر بهالة من القداسة عن أحاسيسه ومشاعره التي تبعث في كل مرة دون تغيير، ولأنها تستحق ذلك فقد حمل صخرة سيزيف وأعلن صبره وتجلده؛ لأن على هذه الأرض ما يستحق الحياة.

و عليه تسعى هذه الورقة البحثية إلى النبش في جماليات و أبعاد الحضور الأسطوري لأساطير الخصب و النماء في المتن الشعري الجزائري المعاصر، متخذة من القراءة النقدية الأسطورية دليلا و منهجا لها.

الكلمات المفتاحية: الأسطورة- التجلي- الإشعاع- المطاوعة- الخصب و النماء.

Summary:

Algerian poetry is considered a historical document for the various moments in which the country lives, and it is a revelation of the various situations and crises that shook its throne, and disturbed its being and existence. Because it is an expressive suggestive energy of what was, is, and will be, as many Algerian poets worked to employ the myth in their poetic texts because of their belief in the extent of its fertility and ability to inoculate the poetic experience, and the second is to satisfy their desires. And the Algerian poet summoned the legend of fertility and growth to express with an aura of holiness his feelings and feelings that are resurrected every time without change, and because they deserve that, he carried the rock of Sisyphus and declared his patience and fortitude; Because on this earth there is something worth living.

Accordingly, this research paper seeks to dig into the aesthetics and dimensions of the mythical presence of the myths of fertility and growth in the contemporary Algerian poetic text, taking the legendary critical reading as a guide and method for it.

Keywords: myth- transfiguration- radiance- compliance- fertility,-and growth.

مقدمة:

شكلت ظاهرة الموت قضية محورية أرقت الإنسان منذ غابر الأزمان، واتخذت صراعا مريرا معه لكشف خباياها وهتك أسرارها، ويجد الجواب في نهاية المطاف على يد جلجامش؛ فرغبة الخلود وتحقيق الأبدية كانت الغاية من رحلته الطويلة التي خرج منها بحكمة أن الإنسان ولد ليموت ويفنى. وسؤال الموت وجوابه عكسته أساطير الانبعاث؛ فقد تداولته كل الحضارات والديانات و فكرة البعث أصبحت تراثا جمعيا لدى سائر الأمم، وانعكس هاجس البعث في ثقافات مختلفة؛ حيث كان الإنسان البدائي يؤمن بفكرة البعث، فكانت بذلك أسطورة « موت الإله وانبعاثه إحدى أهم العناصر في الأسطورة والنسق الطقسي القديمين، كما يتجليان بالشكل الأقدم في أسطورة تموز كما يتواصلان على مر العصور ليظهر في عدة أساطير شرقية غامضة سادت العالم الإغريقي الروماني»[1] في حقبة العهد الجديد. ومن هذه الميثات « والانبعاثات الأزهارية، جاءتنا أعظم قصة عن أدونيس ففي كل عام تحزن الفتيات الإغريقيات من أجله وفي كل عام يفرحن عندما تزهر ثانية وردة الأتيمون، الحمراء كالدم، إنها زهرة الريح، أحبته أفروديت ربة الحب التي بتقلباتها حطمت قلوب الآلهة والبشر على السواء،

[1] صموئيل هنري هوك: منعطف المخيلة البشرية، تر: صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1983، ص 143.

فكان قدرها أن تذوق من الألم وتحطيم القلب ما كانت تذيقه لغيرها »[1]، وفي حقيقة الأمر لم يكن أدونيس « سوى تموز وأفروديت عشتار في الأسطورة البابلية، فإذا كان تموز إله الخصب عند البابليين، فهو عند المصريين (أوزيريس)، وعند الفينيقين والإغريق (أدونيس)، وقد كانت هذه الآلهة الثلاثة ذات دلالة واحدة، فهي ترمز إلى النماء والخصب، وللقوة التي تدفع الطبيعة إلى الانبعاث والتجدد »[2] ؛ فأدونيس هو أحد ألقاب تموز وقد أخذ الإغريق هذه الأسطورة وعبدوها في القرن السابع قبل الميلاد، وما تسمية « أدونيس إلا الكلمة السامية ومعناها (السيد) وهو لقب احترام كان يطلقه عليه عبّاده »[3]، ومهما اختلفت تسميات تموز وتعددت مدلولاته، فإنها تتفق في جوهرها الأساسي وهو أنه إله الرعي تقع في حبه آلهة الخصب* غير أنه يموت بطعنة خنزير بري، فتنبت وتنبعث من قطرات دمه المتساقطة زهرة شقائق النعمان، وغيابه هو موت الخصب، وفي عودته انبعاث الحياة التي تبدأ بزهرة – شقائق النعمان – ويؤكد "فراس السواح" في كتابه " لغز عشتار" أنه مهما اختلفت تسميات ربات الخصب المصاحبة لتموز فإن عشتار نموذج لعشتارات الثقافات الأخرى، وقد وصفها قائلا:« هي ربة الحياة وخصب الطبيعة، وهي الهلاك والدمار وربة الحرب، في الليل عاشقة وفي النهار مقاتلة ترعى المواقع وتغشى المذابح، هي الأم الرؤوم الحانية، راعية الحوامل والمرضعات، الحاضرة أبدا قرب سرير الميلاد، وهي البوابة المظلمة الفاغرة لالتهام جثث البشر، هي ربة الجنس وسرير اللذة، وهي من يسلب الرّجال ذكورتهم ويخصى تحت قدميها الأبطال، هي القمر المنير وهي كوكب الزهرة، هي النور ورمزها الشعلة الأبدية، وهي العتم المظلمة وما يخفى هي القاتلة وهي الشافية هي العذراء الأبدية، هي الأم المنجية وهي البتول وهي البغي المقدسة هي ربة الحكمة وهي سيدة الجنون هي الإشراق بالعرفان وهي غيبوبة الحواس وسباتها التقت عندها المتناقضات وتصالحت المتنافرات»[4].

ولهذا فقد كانت أساطير الموت والانبعاث « تعبيرا صارخا عن رغبة الشاعر المعاصر في إعادة الاعتبار للإنسان الحضاري، الإنسان العربي، وكانت الخطوة الأولى هي تجسيد مواطن الجذب الذاتي ثم استصراخ البعث »[5]، وفي الواقع لقد اغترف الشاعر الجزائري من أسطورة البعث واستلهم أبطالها وشخصياتها، غير أننا نجده يستخدم مرة الأسطورة البابلية (تموز) ومرة الأسطورة الفينيقية (أدونيس)، ومرة أخرى الأسطورة المصرية (أوزيرس)، ليعبر عن عمق المعاناة وسوء الواقع والموت المحتم الذي لم يكتف بتموز واحد بل حصد أرواحا كثيرة.

و عليه، هل استطاع الشاعر الجزائري استدعاء مضامين أساطير الموت و الانبعاث وتوظيفها توظيفاً تفاعلياً مع تجربته الشعرية؟

---

[1] أديت هاملتون: الميثولوجيا، تر: حنا عبود، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق ط1، 1990، ص 133.

[2] كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة المعاصرة " قراءة في المكونات والأصول"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص 72.

[3] جيمس فريزر: أدونيس أو تموز دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة، تر: جبرا إبراهيم جبرا، بيروت، المؤسسة العربية للأبحاث والنشر، ط2، 1979، ص 18.

*تتبدل آلهة الخصب المصاحبة لتموز من حضارة تموز وإنانا إلى حضارة في الأسطورة السومرية، وتموز وعشتار عند البابليين، لتتحول إلى أدونيس وأفروديت عند اليونانيين (ينظر المرجع نفسه ص 74.)

[4] فراس السواح: لغز عشتار، ص 28.

[5] مديحة عتيق: أسطورة العالم الآخر في الشعر الحديث والمعاصر، ص 153.

العرض:

البعث و الموت في الشعر الجزائري المعاصر:

تكررت فكرة "البعث" عند عديد من الشعراء الجزائريين خاصة في قصائد شعراء ما بعد الأزمة التي نقلت معاناة الشعب في مرحلة العشرية السوداء (الجذب)، ووصفت حالته في مرحلة الوئام (الخصب)؛ فكان بذلك الشعب الإله الجريح الذي هرم الظروف بصبره وتجلده.

وقد وجد الشاعر الجزائري في أسطورة البعث إيقاعا طبيعيا تتناوب فيه نوطة الجذب والازدهار، الموت والانبعاث، والاخضرار والاصفرار، حيث أدرك أن الموت ميلاد جديد، وهذا ما نجده عند "عز الدين ميهوبي" في ديوانه :

آه فرنسا ... الغالية !
عدي الضحايا .. إنهم لا ينتهون
دمهم توزع في التراب
دمهم سيزهر زيزفون !
خرج الأحبة يفرحون [1]

يستدعي ميهوبي أسطورة البعث المتمثلة في تموز (أدونيس) ليصور حالة الموت المسلط على الجزائريين من قبل فرنسا الغالية؛ إذ يستحضرها في أسلوب ساخر مستفز يسخر من فرنسا التي تزيد من عدد ضحاياها، وبالمقابل تزيد من أزهار الحياة (شقائق النعمان)؛لأن دماء هؤلاء ستزهر زيزفون، وحينها يخرج الأحبة للفرحة بعودة الربيع والحياة وتموز وأدونيس؛ لأن تموز هو روح النبات التي تموت وتحيا في دورة مستمرة، وفكرة البعث التي سيطرت على المقطع تثبت أن الموت والحياة متلازمان، فالموت كامن في الحياة، والحياة كامنة في الموت؛ حيث يموت الإنسان ليبعث ويشهد حياة أخرى، ويموت الشهيد ليحيى نسله وينعم بالحياة، وتشهد الأرض الخصب بعد الجذب، تموز الذي سقط دمه على الأرض أزهر زيزفونا بدل شقائق النعمان، وعليه نقول: إن الشاعر أبقى على دلالة الأسطورة وهي الموت والانبعاث والتجدد؛ كموت الأبطال أبطال الجزائر وأبنائها، والولادة الجديدة وانبعاث جيل جديد جيل الاستقلال، حيث حافظ على البعث المتكرر واستمرار دورة الطبيعة ومنه استمرار الجزائر وانبعاثها بعد كل موت تشهده أرضها الطاهرة.

وعندما يضيع الوطن الولد تتوحد الرّوحان لتحدي الفناء، وليصبح الخلود ولا شيء غيره عنوانا للوطن الذبيح الجريح، وهو ما وظّفه الشاعر عز الدين ميهوبي في حادثة قتل محمد الدرة:

أنا طفل لمجد الأرض
في عصر العبابيد
أبي ...
طخ... طخ ...
مات الولد ... مات الولد
طلعت من الدم وردتان
وردة طلعت بلد
مات الولد ... عاش البلد [2]

[1] عز الدين ميهوبي: سيتيفيس، دار أصالة، سطيف، الجزائر، ط 1، 1998م، ث 38.
[2] عز الدين ميهوبي: قرابين لميلاد الفجر، منشورات أصالة، سطيف، الجزائر، دط، 2003، ص ص 11، 12.

ينقلنا ميهوبي إلى أجواء أسطورة البعث (أدونيس)؛ حيث ينبعث دم الولد وردتان بدل وردة واحدة، فيفصح عن الأولى (بلد) ويترك الثانية للقارئ ليتصورها كما يشاء، ويستدعي أسطورة البعث من خلال تيمة التجدد، فقد خضبت صرخات الولد الموجعة الأرض وأنبتت وردتين: وردة شقائق النعمان ووردة طلعت بلد ويتغلغل البعث في جسد القصيدة من بدايتها إلى نهايتها، فالشاعر يؤكد فكرة أن الأولاد في فلسطين يولدون ليكونوا شهداء كما جاء في قوله:

في فلسطين يا أبي ...
ولد الأطفال طبعا ليكونوا شهداء
يا محمد .. لا تقل شيئا
(...)
دمُنا يثأر ..
دعهم فيأتي القطاف؟
يا أبي لا تقل شيئا[1]

يستمد الشاعر هذه الثقة من أسطورة الخصب؛ بحيث لا يمكن لتضحية الأبرياء أن تذهب سدى؛ فلابد للجذب (الخراب) أن يخلّف الخصب (السلام)، ولا بد للآلهة أن تبعث تموزها الذي مزقه الخنزير البري (إسرائيل)؛ فموت محمد الدرة هو بعث لبذور المقاومة (الخصب) وازدهار واخضرار لحياة الفرد الفلسطيني المتعطش للسلام والحب الأبدي.

في حين يستدعي الشاعر "بشير ضيف الله" عشتروت في قصيدة ما تبقى من أمامي الحكي! يقول فيها:

والليل ...
تنهيدات الصبيات توشك أن
ترتدي "عشتروت" الغوايات
تفقدنا سر النكهة[2]**!**

فالشاعر يستحضر الأسطورة البابلية عشتروت (الإلاهة الأم) ومنه يتداعى إلى ذهن القارئ نقيضها تموز والعلاقة بينهما، ففي الأساطير يموت « تموز كل سنة متنقلا من أرض المسرات إلى العالم المظلم تحت الأرض، وأن قرينته الإلهية ترحل كل سنة في البحث عنه إلى البلاد التي لا عودة منها إلى دار الظلام حيث التراب مكوم على الأبواب، وفي أثناء غيبتها تنقطع عاطفة الحب عن الشبوب في الصدور فينسى الإنسان والحيوان على السواء تكثير جنسه ويهدد الفناء الحياة »[3].

كما يستحضر الشاعر الزمن الأسطوري لعشتروت وهو انفصالها عن حبيبها تموز بحيث تشهد الأرض الجذب ومنه يجسد الشاعر من خلال هذا المقطع حالة الحزن العميق لرحيل إله الخصب وحزن أهل الأرض عليه. فعبر تيمات ثلاث "الموت" و"الحياة" و"البعث"، ارتسمت معالم القصيدة في دورة لا متناهية تنتظم حول سمة وصفة الغواية والإغراء والترجي، يقول الشاعر:

[1] المصدر نفسه، ص 10، 11.
[2] بشير ضيف الله: شاهد على اغتيال وردة، منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر، دط، 2003، ص 11.
[3] جيمس فريزر: أدونيس أو تموز " دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة، ص 20.

مدن القلب الذّاهب،،
اغتراب الأماسي،

حتى إشعار آخرا
(...)
أشكّل من مائها
امرأة ![1]

فثنائية الموت والانبعاث التي صبغت النص هي ترجمة شعورية لما يختلج في نفسية الشاعر ورغبته في اشباع المسكوت عنه المتبقي من الحكي، ومنه فك طلاسم الحكي وحل شفراته الغامضة، ولعل الشاعر في هذه القصيدة يجمع بين امرأتين أسطوريتين أوجدتا لنفسهما مكانة عظيمة، وإن كانت عشتروت من صنف الآلهة، وشهرزاد امرأة من صنع الخيال إلا أنهما يلتقيان في عنصر الخصب والحياة، وهذا ما أضفى على القصيدة بعدا أسطوريا ترجمته بنية النص.

شكلت أسطورة البعث (الميلاد والموت) منهلا خصبا للأدباء على اختلاف توجهاتهم وفنونهم؛ فعبر الثنائية الجدلية للموت المحتوم ورغبة التعمير المتجدد، وخطّ الأدباء أروع قصائدهم عاكسين بذلك الأوضاع الحياتية وتقلباتها بين يباب ونماء.

لقد تكررت أسطورة البعث لدى عديد من الشعراء الجزائريين، فـــــ " عبد الرحمن بوزربة" ينهل من أحداثها ووقائعها ما يتماشى وعصره يقول:

إنّا سنهطل بالموت حد الرماد
ونولد ...
قلنا
سنصمت حتى تحدثنا جمرة الكف
صدّقت الوردة النار..
قالت سيولد من حطب الوقت وقت[2]

في قصيدة "الذي بيننا" يطل علينا الشاعر بلوحة فسيفسائية رسمت بامتزاج زمنين: (الصباح والليل) و(الميلاد والموت) ليحكي لنا قصة انكسار المرايا، وتعليق الصباح على مشجب الظل ويصور لنا النهاية التي زين بها غلاف الديوان.

ويستحضر الشاعر في قصيدته الأسطورة الأدونيسية بخلفيتها عبر تيمة الانبعاث والتجدد ليجسد ثنائية (الفناء والبقاء)؛ (الموت والحياة)، فالشاعر يبوح لأفروديت بأنه سيبعث من رماد الموت ويولد أدونيسيا يخلخل الهدوء البليد ويثير عاصفة التغيير ليشهد الليل (ثالثهما) نهاية الخراب والانهزام، وتشهد الأرض بعثا ونماء للحياة بمختلف مستوياتها.

تشتت الشاعر الجزائري بين عالمين؛ عالم أضرم في النفس لهيب الحزن والأسى والحنين جحيم فضّل الانفصال عنه واللجوء إلى عالم آخر نقي يحتضن أفكاره الخصبة، ويحتويه ليبعث فيه الحياة، ولهذا كانت أساطير الخصب والنماء محطة وموتيفا استقطبه وشد انتباهه، فالشاعر "مشري بن خليفة" في قصيدته "رؤيا" شده عالم الأسطورة، فقال:

[1] بشير ضيف الله: شاهد على اغتيال وردة!، ص ص 11، 12.
[2] عبد الرحمن بوزربة: نهايات، دار هومة، سطيف، الجزائر، ط1، 2003، ص ص 27، 28.

ما أورع عطرك
ماأروع صوتك
ما زال الفؤاد في صبابته
يعاني
ينثر الماء قمرا
في لغة المرايا،
فينطفئ الظمأ في أحداقي،
ويحترق في تموز، تاريخ من اللعنات،
يبدأ الجسد في الفناء،
يوحدنا النشيد،
في دهشة اللقاء[1]

تتجلى أسطورة تموز في هذا النص على مستوى البنية السطحية لتمتد المطاوعة في أجزاء القصيدة عبر صورة بلاغية أسطورية، فتثير الدهشة في القارئ (ينثر الماء قمرا) راسمة بذلك بنية أسطورية خاصة تعبر عن رؤية النص الأسطورية.

وفي مقطع آخر يوظف"مشري بن خليفة" الميثولوجيا البابلية التموزية بطريقة فنية إبداعية مبعوثة برؤيا الإله "سين"، مما يعطيها طابعا سحريا يجسد طقوس الانبعاث من تقديم القرابين، وتلاوة الابتهالات (الأناشيد) وتعذيب الجسد لاسترضاء الآلهة واستمالتهم بغية تخليصهم من العقم السياسي والكساد الاقتصادي، والانهيار الأخلاقي والاجتماعي، وتحريرهم من عالم الظلام الذي تحكمه آلهة الموت "أرشيكجال". لذلك يناشد الشاعر إله القمر "سين" ليخلصه وبلده من أنياب الخنزير ومخالب الموت والجذب لبعث الخصب وتفجير ينابيع الحياة.

تعتبر أسطورة البعث (تموز، أدونيس) من أهم الأساطير التي نالت حظها عند الشعراء -الغرب والعرب على حد سواء- عامة والشاعر الجزائري خاصة، حيث سلبت لبابهم وأسرت أقلامهم فكانت بذلك طيّعة زئبقية في تشكيلها وحربائية في تلوينها، يكيفها الأديب حسب فكره ورؤيته ليعكس تطلعاته ومواقفه، وأسطورة تموز في ارتحالها من مبدع لآخر تتعرض لقلب الدلالة وتغيير المفهوم، فالشاعرة "حنين عمر" تبعث وردة الياسمين من موتها في قصيدتها انبعاث الياسمين، تقول:

انبعثت ياسمينة شرفتي
من بعد موتي في انبعاثي وموتها
وسرى الخِضار بعودها الملفوف في حزن الجفاف
انبعثت..
من بعد أن ودّعت لون زهورها
ويئست من كل الحياة بلا سبب[2]

تتلازم صورة الخصب عند حنين بموتها؛ حيث تتحدد مع تموز،أدونيس في صورة تبدأ بموتها وتنتهي بانبعاث ياسمينتها وموتها؛ فقد ارتبط موتيف الانبعاث برؤيتين رؤية متفائلة تجسدت في اخضرار الأرض، ورؤية تشاؤمية تجلت في جذب حياة الشاعرة ويأسها وعجز أصابعها عن

[1] مشري خليفة: سين، دار هومة ، الجزائر،ط1، 2002م ،ص ص 6، 7.
[2] حنين عمر: سر الغجر، ص 57.

كتابة النزيف حتى تبعث ياسمينة، غير أن هاتين الرؤيتين بعثتا الأمل من جديد، وبعثتا حلم التجدد والازهار الذي يخلص الشاعرة من حالتها ومن موتها، وإن نضوج الرؤية الانبعاثية عند الشاعرة جعلها تدرك أن « الحياة في الموت والموت في الحياة، وهذا ما يوصلنا إلى أن الموت حياة عند المتصوفة، وهو حقل معرفي وتجربة متممة لمعرفتهم الكبرى وسعادتهم العظمى، فالموت اقتراب من الذات الكبرى وخلاص من التراب »[1].

إن رؤية الشاعرة قادتها لبعث أزهار الياسمين لتميزها برائحتها العطرة التي تطغى على رائحة الموت من جهة، ولأنها ملكة الزهور مثلما هو وطنها ملك الأوطان من جهة أخرى، كما تحمل هذه الزهرة مفارقة الموت والحياة، حيث تعتبر كل أجزاء النبات سامة (ارتخاء العضلات، ضيق في التنفس، اضطراب عنيف وتشنج، غثيان) عدا الأزهار التي تحوي رائحة عطرة تخلصنا من الكآبة وتريح الأعصاب وتبعث الحياة من جديد، ومنه تنبعث أصابع الشاعرة لتغازل القلم وتخلص الروح من الألم حتى تزهر الروح ويزهر الوطن.

غير أن سليم دراجي يستدعي عشتار في قصيدته "تسابيح النسيان" لتضمه وتلتقي به كي يبعث الربيع في زمن اغتيال الوردة، يقول:

ضميني كي يجيء الربيع
ضميني
وترى صدر عشتار يحوي الجميع
ضمني فأنا متعب[2]

في هذا المقطع توظيف باهت لأسطورة البعث، وبالتحديد في توظيف عشتار فتوظيفها جعل الصورة سطحية، فلو اكتفى الشاعر بالسطرين الأول والثاني لأعطى القصيدة بعدا فنيا أسطوريا.

لقد استدعى الشاعر الأجواء الأسطورية من جدب وعقم الأرض وبرودة المشاعر ليصور حالته وحالة وطنه، وينقل الإحساس بالغربة والضياع والفجوة التي يتخبط فيها وطنه الذي غرق في الحزن وفتح أحضانه لدماء أبنائه، لهذا يطلب من عشتار أن تحتضنه كونه توحد مع تموز حتى تعود الحياة لطبيعتها، لأن الأسطورة تحدثنا عن الجذب والخراب الذي لحق بالأرض بعد تموز وحزن عشتار، وهنا نجد تناصا مع الأسطورة التموزية الجذب الذي حل بالأرض عقب موت "تموز" ليعكس الاضمحلال والخراب الذي أصاب وطنه.

وفي قصيدة "وتبقى أمنية الوجود" للشاعر محمد علي سعيد تحضر أسطورة البعث لكن هذه المرة نجد استدعاء للأسطورة الفرعونية" إيزيس" يقول:

يا ضفاف الموج، فلتزهر لآليها
أمنية وحيُه،،
إعجازه في معبد الإشراق يرويها...
وإيزيس الجميلة في هياكلها
تغازل رعشة الموتى[3]

[1] علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص 25.
[2] سليم دراجي: اغتيال زمن الورود، دار هومة، الجزائر، ط1، 2002، ص 75.
[3] محمد علي سعيد: جيوب الرذاذ، منشورات أرتيستيك، الجزائر، دط، دت، ص ص 15، 16.

"ايزيس" أسطورة فرعونية تستدعي "أوزوريس"، وقد نشأت عناصر الأسطورة من فعلين، موت الملك وتحوله إلى « أوزوريس وإجلاس ابنة "حورس على العرش وليس لذلك نظير في التاريخ القديم»[1].

و"ايزيس" هي إلهة الخصب عكس أختها "نفتيس" إلهة للعقم والشر، والشاعر وظف الأجواء الأسطورية في قصيدته واستدعاها من ماضيها مستحضرا إحدى الإلهات (ايزيس)، ومنه يستدعي إلى الذاكرة أوزوريس ونفتيس وسِتْ؛ أي إننا نستحضر ثنائيتي (الخير والشر)، و(الموت والحياة)، و(الروح والجسد) ويستدعي رحلة البحث عن الأشلاء وجمعها في حفل جنائزي لتلد ايزيس "حورس" من أوزوريس ملكا في مملكة الموتى.

وقد استلهم الشاعر أجواء الأسطورة لا ليصور لنا بشاعة الجريمة (قتل سِتْ لأوزوريس) بل ليجسد لنا سمو العلاقات ورفعتها، ويقرن علاقة متشابهة بين إيزيس الأسطورة وأمنية باب الوجود، فـــ"أمينة" هي إلهة الشاعر التي تهب السلام، وتلد له الأطفال وتغازل الموت كي يبتعد عن ملاكها، وتقود سفينة الحب كي تزهر الأرض وتسقيها بالدموع والدماء كي ترتوي، وتغتسل من الشر والأحقاد، وتعود أرض "أمينة" كما كانت قبل الصراع والقتل.

وتحضر (إيزيس،أمينة) عند الشاعر لتعيد الروح إلى جسدها، لتعيد الوطن لحالته الأولى، لتنشر الحب والولاء داخله وتبعثه من جديد، من بعد موته على يد أبنائه، ويستحضر محمد علي سعيد الحب الأسطوري المضحي الذي جعل من أمينته إلهة من وجوده يقول:

وتجيء من رعش السحاب يدسّ أطراف التمزق
في فمي
مرت أناملها على فتق الجراح فأينعت
زهرا يرتجى
في شاطئ الحرمان في
عنق السنابل[2]

إنها آلهة الجزائر التي تنشر الحب والسلام في معبد الخير والوئام، إيزيس التي تقود أوزوريس ليحكم بالعدل والرحمة والخير في بلد الدمع والدم، فمن يا ترى هو أوزوريس الشاعر؟؟

في حين يستحضر الشاعر "عبد المجيد سعيد" أسطورة البعث عبر تيمة الحرق في قصيدته "فجر الأرض الفقراء" التي قسمت إلى أربعة مقاطع ارتكز فيها الشاعر على فكرة التضحية والبعث، فعبر تيمة الحرق يستحضر في المقطع الثالث المسيح المصلوب والبعث فيقول:

-3-

لأنها المأساة
يا وطني المصلوب
تضرم في النار من جديد
تغرس في الزهر والحمام
وتبعث النخيل والرمال والبحار
من رحم القبور والشتاء[1]

[1] الحسني الحسني معدّي: الأساطير الفرعونية، ص 79.
[2] محمد علي سعيد: جيوب الرذاذ، ص 18.

يلجأ الشاعر في هذا المقطع إلى توظيف مزدوج بين رمزين؛ رمز الصلب ورمز البعث، الصلب الذي يستدعي المسيح والبعث الذي يستدعي الموت، وكلا الرمزين يعززان فكرة الموت والبعث.

إن هذا الاستحضار المزدوج لفكرة الصلب والفداء ،الموت والحياة، يصب في فكرة أساسية هي الموت والتضحية لنيل حياة كريمة والتخلص من المعاناة(المعاناة الجسدية والروحية)، وتشهد أرض الفقراء فجرا جديدا.

عبر صورة أسطورية يستحضر الشاعر حالة وطنه المصلوب ليعكس المأساة والحزن والنار التي أضرمت في أرض الفقراء، ويصور غربة وطنه ومعاناة نخيله وأزهاره وبحاره وقبوره وحمامه، فهي الغربة الروحية التي جسدتها فكرة الصلب (يا وطني المصلوب)؛ حيث يمزج الشاعر بين " عنصر الولادة مع الموت والظلام، والنور واليأس والأمل معا، فإنه بشارة بتحول الظلام إلى النور إلى ولادة المسيح وزوال اليأس وولادة الفرح والأمل »[2]، فالموت الذي سكن القبور قد بعث الأمل والحياة من جديد، يقول:

نبعث النخيل والرمال والبحار
من رحم القبور والشتاء

فالشاعر يصور وطنه مسيحا مصلوبا حزينا محروقا غير أنه لم يمت، بل ينفتح وهجا لتفتح المدائن السوداء للسلام، يقول:

ويطلق الحمام واللقالق البديعة
في أرضنا الفقراء[3]

فبين ثنائيتي الموت والبعث رسم لنا الشاعر ملامح وطنه وعكس لنا انكساره وحزنه وانتحار الربيع والأزهار فيه، إلا أنه أنهى قصيدته بمسحة تبعث على التغيير وقلب الأوضاع والموازيين؛ فبعد المعاناة يأتي الفرج وتعم الفرحة والأمل والحياة وتبعث تموزا وأدونيس من جديد في أرض القفار فتصبح أرضا خضراء تشهد ولادة جديدة.

كما تتجلى أسطورة الموت والانبعاث كذلك عند الشاعرة "سعدة خلخال" في أحد مقاطعها فتقول:

السماء تمطر
تعبا...
على أرض احترفت ممارسة
الاحتراق
في شتاء أبى إلا أن تطمئن الطبيعة
على مستقبلها
فراح يبذر الموت
سنابل للاحتضار
وأزهارا تتوج بها التوابيت

---

[1] عبد المجيد سعيد: بساتين بابل تقف من جديد، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط2، 2007، ص 14.

[2] هيام عبد الكاظم إبراهم: المسيح في شعر السياب ومحمود درويش، لارك الفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع 18، س 07، 2015، ص 393.

[3] عبد المجيد سعيد: بساتين بابل تقف من جديد، ص 15.

عندما لا يصح إلا الانتحار [1]

تتجلى أسطورة الموت والانبعاث تجليا عكسيا، بحيث تمطر آلهة السماء عشتار مطرا متعبا لتزهر وتنمو أزهار الموت بدل الحياة. والتجلي العكسي للأسطورة يعكس الواقع المميت للشاعرة، ويصور حالة الأرض التي نبتت بها أزهار الموت في فصل الحياة والاخضرار(الربيع)، لأن هذه الأرض احترفت الموت وتحتاج إلى طوفان ليطهرها ويبعث فيها أمل الحياة من جديد.

في حين تشهد الجزائر على يد الشاعر "منير مزلي" ولادة عشتار أخرى قال عنها في قصيدته "عباب الفرات":

عشتار يا ابنة الإله...
عشيقك ... جلجامش
ما عاد يرغب السما...
ولا المراكب العجايا
عانقيه غيمة
فليس بعده بقا...
وليس قلبه بقا ![2]

يستدعي الشاعر "عشتار" آلهة الخصب والحرب محافظا على نمطها الأسطوري؛ إذ يستخدم لغة أسطورية وبنية أسطورية محكمة البناء، فجلجامش لازال يعلن رفضه لحبها فهو القائل:

ما أنت موقد في البرد يطفأ جمرك
ما أنت إلا كوة الرّيح تعصف قِربَك
ما أنت إلا قلعة يقضي الحماة ببابك
ما أنت إلا حفرة خبأت فيها غدرك
(...)
ما صنت خلا مخلصا أبد الزمان على الدهور
بل أيّ زوج مفلح تبقينه؟ ذات الجذور!
هذي حكايا من عشق ت، فضاع، يا للشرور[3]!

إن استدعاء الشاعر لهذا النص الأسطوري هو جرأة منه؛ لأنه أراد أن يسلك سلوك جلجامش في مواجهته ومحاسبته للآلهة عشتار على أخطائها وزلاتها فهو يتخذ من أحداث الأسطورة قناعا وغطاء يحكم به آلهة البلاد الذين نشروا الصراع والخراب في البلاد، إلا أن الشاعر في النهاية يحدث تغييرا وهو أن جلجامش يرفض الامتثال لأوامر الآلهة ويعلن تمرده محاولا تحقيق العدالة، لهذا راح يردع ابنة الإله قائلا:

سيتقي جلجامش الصراع

[1] منيرة سعدة خلخال: أسماء الحب المستعارة، منشورات أصوات المدينة، الجزائر، ط 1، 2004، ص 05.
[2] منير مزلي: قل لآدم، وزارة الثقافة، الجزائر، دط، 2007، ص 59.
[3] سن ليكي إنيني: ملحمة جلجامش، تر: جرجس ناصيف، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص ص 83، 84.

لن يصّد عنك التراب..
لن يعانق الشحوب والضباب!
الحيّة الرقطاء ما أخطأت..
ولن تسلم الخلود للذباب![1]

فكل الإغراءات التي قدمتها عشتار آلت إلى الفشل كما آلت عشتار الأسطورة إلى الفشل، وعليه نقول إن الشاعر **طوّع** الأسطورة وفقا لرؤيته الخاصة، حيث استدعى من الأسطورة الجزء المتعلق بجلجامش وعشتار في شطره الأول، وجلجامش والحية التي سرقت منه نبتة الخلود في شطره الثاني، فحافظ في الأولى على البنية العامة للأسطورة، وأحدث تغييرا في الشطر الثاني؛ حيث جعل جلجامش يقر بأن الحية لم تخطئ عندما سرقت نبتة الخلود كون الإنسان لا يستحقه على غرار الأسطورة التي انتهت بوعي جلجامش لسر الخلود؛ وهو أن الإنسان خالد بأعماله وأفعاله.

يوظف الشاعر "عبد الكريم قديفة" أسطورة الميلاد والموت في قصيدة "مرايا الظل" عبر تقنيتي **"الإشعاع والمطاوعة"**، حيث يحدث الشاعر تطويعا فنيا على الأسطورة ولا يذكر عشتار بل يجعلها تشع عبر النص ليكتب بذلك أسطورة النص، فيقول:

لنا غيمة
يهاجر عبرها المطر
إلى دنيا روابيهم .. وينتشر
فيخضر المدى أبدا
ويشدو للهوى البشر..
لنا غيمة
يسافر خلفها النظر
وينشد حبها المعنى
فتسقيه بما فيها، وتنتحر [2]

تتوالى دورة الحياة والطبيعة؛ فتزهر أياما وتموت أخرى، عام بعد عام والحزن لا ينام في قلب الشاعر يمضي ويعود ويرجع ليرحل ثانية، لكن عشتار تعيده للحياة فيخضر المدى لكنها لا تعيده بروح جديدة، ولا تبعثه بزي آخر بل تعيده دون تغيير ودون أمل ما يجعل العودة مملة عند تموز، وإن كانت تحافظ على عهدها، فلماذا يا ترى هذا؟ هل تخلت عشتار عن حبها الأسطوري أم أن عشتار الشاعر تعبت من الهوى فحافظت على وعدها لكن ببرودة الشتاء.

يبوح النص ويؤمن بأن عشتار تمطر لتزهر الحياة، لكن تموز ملّ هذا ملّ الحزن واليأس ملّ الموت، ويبغي العودة إلى عالم الأحياء دون الرجوع إلى عالم الموتى كي يتخلص الناس من حزنهم ومن شقائهم؛ فتوتر العلاقة الأسطورية بين تموز وعشتار تعكس معاناة الشاعر وألمه في أرض الظل، في أرض تغيب فيها ملامح الحقيقة، وتغيب فيها أجواء الفرح بعودة الربيع لأنه يبعث دون تغيير.

[1] منير مزلي: قل لآدم، ص 59.
[2] عبد الكريم قديفة: مرايا الظل، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2007، ص 55.

غير أن الشاعر "محمد زروالة" في قصيدته " لحظة اشتهاء" يجعل تموز يعشق الانبعاث بروح جديدة، مما يجعله يطلب منها تعليمه فنون الحب، فيقول:

وحين تراني انبثق من رمادي والوجع فيّ
من ألف عام وعام
علميني كيف اشتهيك كثيرا،كثيرا[1]

ينبعث تموز من وجعه بإشراقة جديدة وربيع جديد، يشهد ميلادا آخر على يد معلمته التي عادت لتملأ حياته فرحا وأملا، وعادت لتؤجج نار الذكرى وتوقظ الحلم عبر غناء جنائزي يومئ بعلاقة قوية بين الشاعر والوطن في قوله:

عبرني حلم وثلاث من سؤال
يمامة قالت لقلبي: هنا وطني،
فأطربه البوح فمال،
فكيف لي أن أنساك إذن [2]

يرسل الشاعر أحلامه عبر صورة دالة، حالمة بانتصار وعودة الأمور إلى نصابها، فعبر تيمة البعث تتجدد علاقة الشاعر بوطنه، فتزهر عند اللقاء "أزهار وئام"* وبذلك يعود تموز إلى الحياة ويعود الوطن إلى سابق عهده من جديد، بعدما تغلب على الموت.

عندما يمتلك الوطن الشاعر ويُشربه من كأس أحزانه، ويصب فيه آماله وأحلامه، يكتب الشاعر عن وطنه بلغة الجمال عبر كلمات مثقلة بتفاصيله، لذلك « أجهشت اللغة عند ملاحي بالألم عندما وجدت نورها .. مطبق الأجفان.. مكسور الجناح »[3]، فكان ميلاد الجزائر عكس ميلاد تموز، الربيع، أدونيس، وهو ميلاد يشي بالموت في اللحظة نفسها، لأن لونه مصنوع من الحزن الذي لا ينتهي، نكاية وكفاية وغواية ونفاية، لأن:

الموت ميلاد وحيد...
لكنهم أعطوه لونا مذهلا...[4]

وظف الشاعر أسطورة البعث توظيفا **عكسيا**، لأن الربيع والحياة في بلده أخذا شكلا ولونا يختلف عن ربيع الأسطورة لا اخضرار ولا احمرار لشقائق النعمان فيه، وإنما ربيع بلاده جريح غريب لم تعهده الأسطورة والواقع؛ فربّة الخصب والنماء ملت العطاء، واغتالت النور في الأجفان، وأشعلت الورد أحزانا.

كما يستحضر الشاعر "ملاحي" الأسطورة بفنية عالية، إذ بين الفينة والأخرى نجده يرسم صورة الربيع في الجزائر فيقول:

بقايا محبتنا..
وعناق الأرض ربيع ..

[1] محمد زروالة: ضفاف الحزن، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، دط، دت، ص 87.
[2] المصدر نفسه، ص ن.
*عبارة وردت في الديوان، ص 89.
[3] علي ملاحي: العزف الغريب، الجاحظية، الجزائر، دط، 2011، ص 17.
[4] علي ملاحي: العزف الغريب، ص ص 8،6.

والحلم شموع لم توقد بعد..
والقلب مطيع..[1]

إن ربيع "ملاحي" هو ربيع الأمل والحلم والأسطورة الذي يتمنى أن تعود أرض الجزائر لعناقه بغية تجاوز هذا التاريخ، والواقع المسبي الذي صارت الأحلام فيه محظورة. وتشع أسطورة البعث عند الشاعر أملا وحنينا لعودة الحبيب إلى سابق عهده، وعودة الربيع بعد طول الظلام إلى بلده

ولا يختلف الأمر لدى الشاعر "عبد الحليم مخالفة"، إذ تتجلى الأسطورة التموزية عنده على مستوى البنية السطحية للديوان "سنظل ننتظر الربيع" بحيث يضعنا العنوان أمام جمالية المفارقة والدهشة؛ لإمساكه بمحورين رئيسيين شكلا بنية الديوان في عمومه: الأول محور الأسطورة، والثاني محور الفعل؛ أما الأول فهو استحضار لأسطورة تموز (عودة الربيع) التي نسجت حولها العناوين الفرعية، لتضع بذلك القارئ في حيرة من أمره نتيجة الدهشة والغرابة والفاجعة التي ألمت به، فتضعه في فعل التأويل وتدخله دوامة اللامتناهي نتيجة الكشف والتخفي للأساطير متعددة التوظيف في الديوان وهذا ما يمثله المحور الثاني.

إن عودة "مخالفة" إلى الأسطورة هي عودة إلى الزمن الخصب، الزمن العذري الذي لم تملأ كدره تقلبات الزمن ومأساوية الواقع، عودته، هي ثورة وسخط على أوضاع بلده ومحاولة منه لفهم تقلبات أوضاعه، لذا نجده في قصائد ديوانه "سنظل ننتظر الربيع" يستدعي أسطورة تموز البابلية « تموز ابن الماء الخلاق وحافظ قوى الخصوبة والنماء، وهو في الوقت نفسه قاهر الموت الذي حرر نفسه من قوى العالم الأسفل »[2] تتجلى الأسطورة التموزية على مستوى البنية السطحية للعنوان "سنظل ننتظر الربيع"؛ فربيع الجزائر الذي لابد من عودته مهما طال القحط والفراق، ومهما توقف الخصب وحل الجدب فالأمل قائم والانتظار متواصل طالما أن الربيع قادم وآت لا محال، لهذا نجد الشاعر يستند إل قول غيري، وهو المثل الصيني القائل:

تستطيع أن تقطع جميع زهور الحديقة
لكنك لن تستطيع منع مجيء الربيع

ومهما طال مجيء الربيع لابد أنه قادم لا محال، مهما كانت الأوضاع صعبة، ومهما تحكمت الآلهة فيه وحالت دون قدومه، يقول مخالفة:

ورثوا الكراسي
بعدما هلك الجميع...
فدع التّنطع جانبا،
واختر مكانك في القطيع..
واهدأ وكن
بين الخراف اليوم كالحمل الوديع[3]

في هذا المقطع تظهر عدم الشرعية فيما يحصل في البلاد من تفرقة، خدمة لمطامع شخصية، وهذا يعود بنا إلى أسطورة تموز الذي أرسلته "إنانا" إلى العالم السفلي بدلا عنها، وهنا

[1] المصدر نفسه، ص ص 96، 97.
[2] فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، ص 175.
[3] عبد الحليم مخالفة: سنظل ننتظر الربيع، مطبعة المعارف، عنابة، دط، 2006، ص 31.

يظهر وجه المفارقة بين تموز الأسطورة وتموز الشاعر الذي تحمل النقيضين معا؛ (الدمار والخلاص)، (الموت والحياة)، (الفناء والعودة) يقول الشاعر:

رغم جرمهم الفظيع
رغم المجازر والمقابر
والمطارد والصريح
رغم العواصف والرياح
رغم السوّاد السائد، رغم الجراح
رغم الشتاء الواعد
رغم الصقيع...
سنظل نحلم بالربيع...
سنظل نكتب للربيع...
سنظل ننتظر الربيع[1]

يستدعي الشاعر الإله تموز وقدرته في إعادة الخصب والحياة بعد الموت، فهو قاتل الجدب والعقم، ومحارب الموت والمخلص من الضياع، ومعيد الحب والدفء إلى سرير الأزواج، ويستدعيه أملا منه ليخلص بلاده من أوضاعها ويبث فيها الحياة والأمل كما دبت بفضله في الزمن الأول زمن الآلهة.

كما يستحضر مخالفة أسطورة البعث من خلال زهرة النرسيس (النرجس) وبالتحديد يستدعي صراع "نرسيس" مع الآلهة للعودة إلى الحياة مجددا رغم انتحال جسمه وموته وعودته إلى الحياة على شكل زهرة، فنرسيس هو الاسم اليوناني « لفتى قضت عليه الآلهة "أفروديت" أن يحب حورية جميلة، غير أنه رفضها وازدراها فحكمت عليه الآلهة "أفروديت" أن يظل ينظر إلى خياله في بركة ماء رائق ليلا ونهارا، وبقي على هذه الحال حتى انحل جسمه ومات، وبعد ذلك عطفت عليه الآلهة وذلك بأن حولته إلى زهرة جميلة تميل برأسها إلى الماء، حيث يوجد وكانت الزّهرة المعروفة بالنرجس »[2]، وفكرة الموت والعودة هي ما استلهمه الشاعر في قصيدته " الربيع وزهرة النرجس" بحيث يقول:

والثلـــــج مزّقـــــه ولم يـزل يأبى-عنادا- أن يذوب حطامه
والزهر يرقد تحته متوامتا جببا، ويخشى أن تـــرى أكمامه
(...)
وإذا بزهرة نرجس في هويج بيد النّدى وفراشتـــــــــين زمانه
كأميـــــــرة لو أنها بجمـــــالها حبست عليلا لانجلت أسقامه[3]

يستند الشاعر في هذا المقطع إلى صراع الطبيعة ودورتها لكي يرسم ويصور الصراع المحتدم بين شتاء الجزائر وربيعها، بين قحطها واخضرارها، ويستحضرها ليصور مستنقع السياسة وواقعه المخزي في أرض السلام، ويستدعيها ليبين الوضع المتأزم بين الإله الجريح (الشعب) والسلطة، هذا الإله الذي يرفض النهوض والانبعاث من أزمته، وإن كان الربيع يهب نسيمه بين الفينة

[1] المصدر نفسه، ص ص 32، 33.
[2] حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا الأساطير والشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1994، ص 280.
[3] عبد الحليم مخالفة: سنظل ننتظر الربيع، ص 83.

والأخرى غير أن زهرة النرسيس ترفض الانبعاث، وفي هذا تطويع عكسي للأسطورة، إذ توالت الانكسارات والمآسي عليها فأفقدتها عبيرها، وبذلك ضاع حلم الانبعاث في أرض الجزائر التي سكنتها الآلام فغاب الربيع وبقيت زهرة النرجس وحيدة ضائعة، يقول الشاعر:

وإذا بجيش الصيف يقذف حرّه حمما ويختطف الربيع حمـــــــامه
وإذا بحسنـــــاء الزهور وحيـــــــدة من بعد ما خان الربيع حسامه
وإذا بعالمها الذي قد ضيعت لا يسترد لا فراشه ولا حمـــــــامه[1]

بحس فني عال وتصوير أسطوري محكم يعلن الشاعر عن ضياع نرجسة وضياع الحلم الجزائري في الوقوف والانبعاث؛ حيث يواصل في تطويع الأسطورة تطويعا عكسيا ليعكس الواقع الجزائري المخزي فيقول:

كنا وكان الحب في وطني
يمتد في أعماقنا نبعا وظلا
تتفتق الأحلام حوله نرجسا
عطرا ونسرينا وفلا ...[2]

إن استدعاء "مخالفة" لأساطير الموت والانبعاث هو تصوير الحالة السوداوية للجزائر التي شكلت محور الخطاب المأساوي في ديوانه؛ مما جعل الديوان يعج بالألفاظ السوداوية المأساوية (الشتاء، الصقيع، الثلج، البرد، الانتظار..) التي تروي قصة تموز الجزائر ورحلته في عالم الشقاء والفناء، وكيف تنقلب الأوضاع رأسا على عقب، حتى عشتار الجزائر تشهد ميلادا عكسيا يقول:

لم تولدي

-كما يظن بعضهم-
من زبد البحار...!
لم تهطلي من غيمة
شديدة البياض يا صغيرتي[3]

تظهر براعة الشاعر في التعامل مع الأساطير، وإعادة توظيفها وتحميلها هموم العصر لدليل على حس شعري نقدي راق من جهة ودليل على نضج التجربة الشعرية من جهة أخرى، فعندما يسكن الواقع المتعفن للشاعر تكون الأسطورة خير معيين له، ومنه يمكننا أن نتحدث عن أسطورة البعث، لا سيما إذا كان الشاعر متخصصا في مجال الأساطير والنقد الأسطوري،

وهذا ما نلمسه في الديوان وهو دقة استثمار آليات المنهج الأسطوري التي جعلتنا نعود إلى الزمن البدائي فنعيش عذاب تموز ونشهد عقوبة النرسيس ونخاف من غول الواقع.

وإذا كان هذا حال مخالفة فإن الشاعرة "سامية عليوي" لا تختلف عنه كثيرا؛ حيث نجدها تستحضر أسطورة البعث والموت من خلال استدعائها لعشتار الأسطورة تقول في قصيدتها عشتار تشتكي:

متعبة أنا..

[1] عبد الحليم مخالفة: سنظل ننتظر الربيع، ص 83.
[2] المصدر نفسه، ص 89.
[3] المصدر نفسه، ص 99.

أعياني السّفر..
لكنها في خطوتي أنا ..
ما يحمل المطر[1]

فعشتار ربة الطاقات الخصبة سافرت لأجل لقاء حبيبها تموز لكن دون جدوى، وعلى الرغم من ذلك تحمل المطر، عشتار رفقة تموز مرة إثر مرة كل شتاء لتعود الحياة كل عام والمعزى « الكامن من وراء تلك الأسطورة هو أن البعث لا يتم إلا من خلال التضحية وأن الحياة لا تنبثق إلا من خلال العناء»[2]، وهو المغزى الذي هدفت إليه الشاعرة بتوظيفها لشهرزاد وعشتار، وهي دعوى النساء للتحرر من قيود السلطة البطريكية المتكررة عبر العصور، من عصر شهرزاد إلى عصرها وهي تنسج لياليها وتصممها بخيوط يختارها شهريار بحريته، لذا نراها توحدت مع "عشتار" في لفظة الأنوية "أنا" لما قالت "متعبة أنا"، وهنا نستدعي إلى الذاكرة عشتار وقدرتها على الخصب، غير أن الشاعرة توظفها توظيفا عكسيا وأن عشتارها ملت وظيفتها مما جعلها تشتكي، وملت لقاء تموزها الآن بعودته يأسرها ويجعلها رهنا لإشارته، وهذا يعكس مكانة المرأة (رمز الخصوبة) في المجتمع العربي.

كما يستدعي الشاعر "محمد الأمين سعدي" أسطورة الموت والبعث في عديد المقاطع، إذ نستطيع القول إن جسد الديوان في عمومه قد بني على ثنائية (الموت والحياة)، وفيما يأتي استحضار لبعض النصوص التي نقلت لنا هذه الفكرة، يقول في قصيدة آخر الركب:

(...)
لن أموت..
سوى لأولد من عذابات البدن
من جراحات الوطن[3]

ويقول في قصيدة "أولد فيك يا شهرزاد البلاغة أو واحة السرد":

أخبريني عن السر أسرقه من عيون الجميلات
عن غرفة للغواية ترتاح في قلب عشتار
أدخلها غير مكترث بالنساء
وأخرج منها وقد بعت للعشق قلبي
وللغانيات اللواتي يقطعن أيديهن الجسد[4]

ويقول في المقطع الأول من قصية "أول الموت عطشا أو ما أضرته عيون السندباد":

أموت
لأولد من رحم السحر في كيمياء المدى
أموت
وأولد مثل الصدى
فأنا بربي العروبة
(...)

[1] سامية عليوي: ما لم تقله شهرزاد ... قالته: سامية عليوي، منشورات رابطة القلم، سطيف، الجزائر، دط، دت، ص 59.
[2] محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 29.
[3] محمد الأمين سعيدي: ماء لهذا القلق الرملي، فيسير ا للنشر، الجزائر، ط1، 2011، ص 94.
[4] المصدر نفسه: ص 97.

إنني سيد الحرب
أستحضر الكلمات
لأحرق في القلب طروادتي بالقلم[1]

ويجعل البعث عنوانا لأحد قصائده "أول البعث"، بل لا تكاد فكرة الموت والبعث تفارق قصيدة من قصائد الديوان؛ حيث تتجلى بصور مختلفة؛ عشتار، تموز، شهرزاد وغيرها، وهذا طبعا؛ لأن شعر ما بعد الأزمة شهد ربيعا آخر بعد غياب طويل لأزهار النرجس وشقائق النعمان، بعد حكاية طويلة مع الموت لأجل البقاء والتجدد.

[1] محمد الأمين سعيدي: ماء لهذا القلق الرملي، ص 98.

خاتمة:

- إن حضور أساطير الموت والبعث بشكل لافت لهو حضور أسطوري يشي بإثبات الوجود وتحديد الهوية، الهوية الجزائرية التي تتعرض في كل مرحلة إلى الهز والخلخلة لكنها فينق يحافظ على تجدده بعد كل احتراق.

-لقد أعلن الشاعر الجزائري المعاصر من خلال هذا التوظيف رفضه للواقع المميت الميت ورفضه معلنا تمرده وثورته على الموت رافعا شعار الانبعاث محددا خصوصيته الإبداعية.

- تكررت فكرة البعث عند كثير من الشعراء الجزائريين، وبالأخص في قصائد شعراء ما بعد الأزمة التي نقلت معاناة الشعب في مرحلة العشرية السوداء (الجدب)، ووصفت حالته في مرحلة الوئام (الخصب)، فكان بذلك الإله الجريح هو الشعب الجزائري الذي هزم الظروف بصبره وتجلده، كما وجد في أساطير البعث إيقاعا طبيعيا تتناوب فيه نوطة الجدب والازدهار حيث أدرك أن الموت ميلاد جديد وبعث آخر.